الأنثى بين
الجن والجنس

الأنثى بين الجن والجنس

جاءتني جارتي ترتعد وترتجف، أطرافها باردة كالثلج، همساتها خافتة كأنها تأتي من أعماق البحار، جلست على أول مقعد بجانب الباب تبكي وتتمتم ببعض العبارات غير المفهومة.

تركتها تهدأ تمامًا، فقد اعتدت منها كلما حدث شجار بينها وبين زوجها أن تصاب بتلك الحالة، كنت في البداية أفزع لها ولكن مع التكرار كدت أحفظ برنامج جارتي في مثل تلك المواقف، كانت التفاصيل تأتيني دائمًا من خلال الجدار الفاصل بين شقتي وشقتها، وكان الصمت وسكون الليل يسمحان لي بسماع ما يدور بينهما من حوارات غالبًا ما تكون بصوت عال، ورغم صداقتي لها إلا أني لم أكن أتدخل في حياتها الشخصية إلاّ بالقدر الذي تسمح به هي، فقد اعتدت ألا أقحم نفسي في حياة الآخرين.

ـ لقد تركني وذهب إليها.. باع عشرتنا واشترى حبه القديم.

قالتها جارتي وهي تهمس وتجهش بحرقة.

اقتربت منها أضمها إلى صدري لأهدئ من روعها قائلة:

ـ مديحة اهدئي ولا تقلقي، ما هي إلا سويعات ويأتيك كعادته مع بزوغ الفجر.

ـ لا لن يعود فهذه المرة أخذ حقيبة ملابسه معه.

انتفضت مديحة فجأة ووقفت وهي تنظر لي نظرة تائهة وقالت:

ـ هل عندك أحد من الجنس الثاني.. راجل يعني؟؟ أقصد هل عندك ضيوف؟

ضحكت من هذه الأسئلة الغريبة وقلت:

ـ تعلمين أني أعيش بمفردي بعد وفاة زوجي وهجرة أبنائي للخارج، فلا عندي جنس ثانٍ ولا ثالث، وهذا حالي كما تعلمين منذ ثلاث سنوات.

قالت وهي تطرح عباءتها وغطاء رأسها أرضًا، كانت تلبس قميصًا شفافًا يكشف عن مفاتنها. مديحة تملك مقومات جمال امرأة ناضجة لها دائمًا نكهة الفاكهة الطازجة رغم أنها في العقد الخامس من عمرها، فحياتها لها عبق الربيع الدائم وأنوثتها متدفقة كشلالات مياه طبيعية، ضحكتها تجلجل فتشعر أن الحياة بأسرها تضحك لك، كان هذا حال مديحة قبل سنتين، ولكن فجأة انقلبت الأوضاع وما عدت أرى إلا شبح امرأة يأفل ضوؤها ويخبو نجمها، وتحولت الضحكات إلى صراخ وعويل ولكني لا أعلم ما الذي حدث لها.

تنبهت على صوت مديحة وهي تقول:

ـ قولي بالله عليك ماذا ينقصني كامرأة؟ ماذا بي من عيوب؟ إذا كنت قد تجاوزت الخمسين فهو يكبرني بخمس سنوات، هل يصاب الرجل في عقله كلما زاد عمره؟

ـ مديحة أرجوك اهدئي وإن لم يكن عندك مانع ولك رغبة في أن تقصي عليّ ما حدث بينك وبين زوجك في السنوات الأخيرة وحول حياتكما إلى هذا الجحيم . فكلي آذان مصغية .

ونظرت إلى مديحة فوجدتها تائهة وعيونها زائغة كما لو كانت في عالم آخر ، ووجدت جسدها يرتجف بشدة وصوتها قد تحول إلى صوت أجش وظلت تهذى بكلمات لم أفهم منها شيئًا ، ثم سقطت مغشيًا عليها ، قمت بعمل اللازم لمديحة من إسعافات أولية جعلتها تسترد وعيها وكنت قد أعددت لها كوبًا من الينسون تناولته بهدوء شديد وقالت دون أن تنظر لي :

ـ سأنتقم منهما وأؤذيهما كما آذياني ، سأدمر حياتهما كما دمراني ، لقد تركني وذهب إليها ، باع عشرة عشرين عامًا واشترى حبه القديم . . سأجعل الشيخ "حنكش" يجننهما ويجعله يعود لي راكعًا متوسلاً أن أصفح عنه .

استوقفتها قائلة :

ـ مديحة هل ما حدث لك الآن يحدث لك دائمًا؟ هل تلك النوبات تداهمك باستمرار؟

قالت بثقة :

ـ لا . . . لا ، يحدث ذلك فقط عندما أخالف تعليمات الشيخ "حنكش" .

قلت بهدوء يقترب من الاستخفاف :

ـ قوليلي يا مديحة من هو هذا الحنكش ، وما هي تعليماته؟

قالت بانفعال غير متوقع :

ـ أرجوك عندما تتحدثين عن الشيخ حنكش لا تهزئي به حتى لا يصيبك منه الأذى ، فهو صاحب كرامات .

قلت :

ـ ما علينا . . فأنا لا أخاف ولا أهتم بتلك الأمور .

قالت بثقة :

ـ لماذا؟ ألست مسلمة ، والسحر مذكور والجن أيضًا مذكور في القرآن . . و . .

قاطعتها حتى لا ندخل في جدل لن يصل بنا لشيء :

ـ طيب يا ستي احكي لي الأول مين الشيخ "حنكش" ده وازاي عرفتيه . . وإيه موضوع الحب القديم اللي ظهر في حياة زوجك فجأة بعد عشرين سنة .

تنهدت وأغمضت عينيها كمن تسترجع تاريخ بعيد :

ـ لقد كانت ابنة عمه وكان بينهما قصة حب يعلم بها الجميع ، وكان الكل يردد إيهاب لأمينة وأمينة لإيهاب ، وفجأة جاءها عريس ثري يعمل بالخارج ، وكان إيهاب لايزال طالبًا جامعيًا ، أما أمينة فكانت شابة جميلة ، أنا لم أرها ولكني سمعت ذلك من أكثر من مصدر في

الأسرة كما أني رأيت صورتها ذات مرة ضمن بعض أوراقه القديمة، كذلك علمت أنه حزن حزنًا شديداً بعد زواجها وظل رافضًا الارتباط بغيرها حتى التقينا وتزوجنا منذ عشرين عامًا.

قلت لها:

ـ هذا يؤكد أنه ما تزوجك إلا بعد أن انتهى وجودها بداخله، ومن المؤكد أن حبه لك جعله يتنازل عن عزوبته ويتزوجك.

ـ حقًا لقد كان في البداية وطوال سنوات حياتنا يذوب حبًا وعشقًا في، وكانت قصة حبنا مثار إعجاب وحسد ممن حولنا، وقد مرت السنون دون أن نشعر أننا حتى لم ننجب أو نرزق بطفل يملأ حياتنا، وللعجب إننا لم نهتم بذلك فقد كانت حياتنا مليئة بحبنا واهتمامنا ببعض لدرجة أننا لم نفكر حتى أن نذهب لطبيب أو نحاول أن نعرف من صاحب العلة فينا ومن منا هو السبب في عدم الإنجاب، فسعادتنا كانت في وجودنا بجوار بعض.

ـ إنها قصة حب رائعة ممتعة جعلتك نضرة دائمة الشباب جميلة، رشيقة فما الذي حدث؟

ـ منذ سنتين تقريبًا أخبرني إيهاب أن أمينة قد زارته في مكتبة بعد أن عادت من الخارج بثروة كبيرة عقب وفاة زوجها وأوكلت إليه كمحام القيام بكل إجراءات تصفية تركة زوجها مع أسرته وزوجته الأخرى كي تحفظ حقوق بناتها منه، ومنذ ذلك اليوم وأنا أشعر أن أمينة

وبناتها عدن ليأخذن مني زوجي إيهاب.. فقد أصبح ذكر اسم أمينة مقرراً على حياتنا يوميًا فهي تتردد على مكتبه من وقت لآخر لمتابعة قضاياها، وهو يبلغني بذلك حتى كان يوم مررت عليه في مكتبه فلم أجده، وعلمت من سكرتيرته إنه خرج مع أمينة لتناول الغذاء في أحد المطاعم، ودارت بي الدنيا وكاد أن يغشى عليّ لولا شادية هذه السكرتيرة الحنونة التي طببت خاطري وهدأت من روعي قائلة: والله يا مدام إن جمالك وجاذبيتك يفوقها بكثير، ولا أعلم لماذا كل هذا الاهتمام بها؟ إنها عادية، بل أقل من عادية. وأصبحت شادية منذ تلك اللحظة هي عيني التي أرى بها ما يدور في مكتب زوجي وأذني التي أسمع بها أحاديث زوجي مع أمينة، وبعدها عرفتني شادية على الشيخ حنكش وصرت أنا وهي أصدقاء، وعندما قالت لي إن إيهاب أصبح مهووسًا بأمينة خاصة وأنها تجد أن هناك أشياء (مرشوشة) بالمكتب وتحت السجاجيد، وذلك حتى يبتعد عني إيهاب ويطلقني ويتزوج أمينة.

قلت لها:

ـ بالرغم من عدم اقتناعي بالأعمال والسحر وهذه الأمور لكن.. هل أنت واثقة في هذه السكرتيرة الخائنة؟ فهي قد خانت وأفشت أسرار زوجك لك أي أنها خانت الأمانة، وهذا في حد ذاته لا يبعث على الثقة بها.

قالت مديحة مدافعة عن شادية:

ـ المسكينة تعاطفت معي، فهي تعمل مع إيهاب منذ فترة، ولها هي أيضًا ظروفها ومعاناتها فقد بلغت الأربعين دون زواج، ورغم أنها طيبة ومثقفة إلا أنها أيضًا كانت ضحية شخص عمل لها عملاً بالصد فكلما جاءها عريس ما يلبث أن ينصرف عنها دون سبب، ومن هنا كانت معرفتها بالشيخ حنكش الذي أوشك أن ينهي مشاكلها ويتم زواجها قريبًا ببركة الشيخ حنكش.

لم أقتنع بكلمة واحدة مما قالته مديحة، ولكن مجاملة لها قلت:

ـ وماذا عنك أنت؟ منذ متى بدأت التردد على الشيخ حنكش؟

ـ شادية لها باع طويل في العمل مع مثل هؤلاء المشايخ، وكان الشيخ حنكش أكثرهم تمكنًا، ذهبت معها لأول مرة منذ ستة أشهر، وكان إيهاب قد بدأ ينصرف عني بمشاعره، حتى في علاقتنا الزوجية لم يعد يقبل كما كان من قبل، بل أصبح كلما اقترب مني يصاب بحالة من الإعياء وعدم مقدرته على ممارسة الجنس معي فينصرف عني معتذرًا بأن عنده بعض المشاغل والمشاكل في العمل تجعله عصبيًا ومتوترًا وزاهدًا..

ـ حقًا هذا يحدث أحيانًا، فالإنسان مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، فإذا اشتغل فكرة بشيء معين..

انطلقت مديحة قبل أن أكمل جملتي صارخة:

ـ آه ها أنت قد قلتيها.. انشغل فكره.. حقًا فقد انشغل فكره بأمينة، سلبت عقله وإحساسه مني فما عاد يطيق معاشرتي ولا مضاجعتي.

ـ وبماذا نصحك عم الشيخ حنكش؟ وماذا فعل معك. وبك.

قالت مسترسلة:

ـ في البداية طلب بعض الطلبات التي لولا وجود شادية ما كنت أستطيع الحصول عليها. فقد كانت تنتهز فرصة زيارة أمينة لإيهاب في المكتب وتحضر بعضًا من أشيائها للشيخ حنكش، ثم كانت تذيب بعض الوريقات التي يعطيها إياها الشيخ في فناجين الشاي التي تقدمها إليهم.

قلت وقد سئمت سماع كل هذه الخزعبلات:

ـ وماذا بعد ستة أشهر من التردد على هذا الشيخ. هل تغير حال إيهاب معك؟

قالت بزهو:

ـ منذ ثلاثة أشهر طلب مني أن أرفض تمامًا معاشرة زوجي حتى أكون متطهرة وأنا خاضعة لعلاجه. في البداية كنت سعيدة وأنا أصد زوجي وأراه منهارًا لهذا الصد، فقد شعرت أنني رددت له صفعته لي عندما كان يرفضني بحجة أنشغاله بمشاكله في العمل، وأنا متأكدة أنه منشغل عني بابنة عمه الأرملة الطروب الثرية أمينة.

كنت أستمع لمديحة وأنا في ذهول، كيف لإنسانة متعلمة/ مثقفة أن تقنع بمثل هذه الخرافات؟ كيف في الوقت الذي كان من المفروض أن تقترب من زوجها وتتودد إليه حتى لا تدع له فرصة للبعد عنها؟ كيف أقنعها هذا

الدجال أن تصد زوجها وتدفعه بعيداً عنها؟ قلت لها وأنا ذاهبة تجاه المطبخ :

ـ إن الساعة قد قاربت على الرابعة صباحًا . هل أعد لك كوبًا من اللبن الدافئ مع بعض الكيك؟ أم تفضلي فنجان قهوة .

ـ أفضل لو كان كوبًا آخر من الينسون، هكذا نصحني الشيخ حنكش .

ـ للأمانة هذه النصيحة الوحيدة المقبولة في حدوتة الشيخ حنكش ده .

قلت أحدث نفسي وأنا أجهز لها كوب الينسون :

ـ ألهذه الدرجة أصبح هذا الحنكش يتحكم في مديحة فيحدد لها ماذا تأكل وماذا تشرب، حتى علاقتها الشرعية بزوجها هو الذي يحددها لها؟

قدمتُ كوب الينسون إلى مديحة وأنا أقول لها :

ـ قوليلي يا مديحة ما سبب هذه الأزمة التي حدثت بينك وبين إيهاب هذه الليلة؟

تناولت مديحة كوب الينسون وهدأت قليلاً . . ونظرت لي قائلة :

ـ من يومين طلبت مني شادية أن أستأذن لها من إيهاب في يوم إجازة بحجة احتياجي لها في شراء بعض مستلزماتي الشخصية .

قلت لها باستنكار :

ـ وهل أنت بحاجة فعلاً لمساعدة هذه السكرتيرة في شراء احتياجاتك؟

قالت مبتسمة :

ـ لا طبعًا، ولكن كان عندنا موعد مع الشيخ طلعت في دمنهور، وهذا الموعد حددناه بعد عذاب ومجهود من شادية فمقابلة شيخ مثله ليس بالساهل .

قلت مصححة لها ما قالت :

ـ تقصدي الشيخ حنكش .

قالت بثقة :

ـ لا . . حنكش الله يقطعه طلع مقلب، أما بقى الشيخ طلعت فقد تعرفت عليه شادية عن طريق صديقة لها جربته وجاب معاها نتيجة سريعة . . أصلها اتجوزت من خمس سنين لكن ما خلفتش، إنما بقى بعد ما راحت للشيخ طلعت . . أهي بقى حامل وعلى وش ولادة مش قلتلك . . ده . .

وظلت مديحة تحكي وتقص بإسهاب عن معجزات الشيخ طلعت . فلما قاطعتها متسائلة :

ـ وكم مرة إذن التقيت بالشيخ طلعت؟

قالت مؤكدة :

ـ ولا مرة . . أنا موعدي معه غداً . . ومعي العنوان .

قلت :

ـ إذن من أين لك كل هذه المعلومات عنه والثقة فيه .

قالت :

ـ من شادية حبيبتي . . عارفه يا دولت الفنانة نادرة هاشم بتتردد عليه ، مفيش فيلم ولا مسرحية إلا لازم تروح له يعملها حجاب علشان الحاسدين ويحصنها من الغيورين . . حتى لما جوزها سعد عامر المطرب طلقها . . الشيخ طلعت رجعهولها زي الكلب . . أقولك إيه ولا إيه عن كراماته وشطارته .

ثم همست كالخائفة من أن يسمعها أحد :

ـ أصله يا حبيبتي معاه جن إنما إيه جامد جداً . . طيب انت عارفة المذيعة سوسن حلمي قبل كل برنامج بتعمله لازم تروح له علشان حجاب النجاح . . أما بقى الوزير فايز فتحي عارفه بقاله كام سنة وزير . . فوق العشرين سنة . . ناس تروح وناس تيجي وهو ما بيتغيرش ببركة الشيخ طلعت . . ولا .

استوقفت حديثها متسائلة :

ـ وأنت بقى عايزه إيه من سي طلعت ده . . الوزارة ولا تعملي فيلم .

قالت مسرعة :

ـ لا ، أنا عايزه الأهم . . عايزة إيهاب يأتيني زاحفًا على يديه . . راكعًا على قدميه . . متوسلاً إليّ حتى أصفح عنه . . أو أدمر له حياته مع من أخذته مني . . أمينة . . ياويلك مني ومن الشيخ طلعت يا أمينة .

هدأت مديحة قليلاً وكأنها قد أفرغت الشحنة التي بداخلها ونظرت لي مبتسمة :

ـ هيه يا دولت حتيجي معايا بكره . . أرجوك . . عربيتي في التصليح وإيهاب رفض منح شادية يوم إجازة بحجة إنها كما قال سكرتيرة خاصة بمكتبه وليست لخدمتي ومرافقتي في مشاويري الخاصة ، وهذا سبب خلافنا ومعركتنا اليوم . . كلمة منه وكلمة مني حدث ما حدث وغادر المنزل . . هيه يا دولت حتيجي معايا عند الشيخ طلعت؟

قالت دولت ببساطة :

ـ ولماذا لا نذهب إلى إيهاب زوجك نصلح ما بينك وبينه وتحاولي أن تعيديه إلى أحضانك الدافئة التي من المؤكد أنه افتقدها كما تفتقدينها أنت . الموضوع لا يحتاج منك إلا قليلاً من التنازل وتعود المياه إلى مجاريها . . بعيداً عن حنكش وطلعت . . وغيرهم وغيرهم .

ـ متهيألك يا دولت المسألة مش بالبساطة دي ، إيهاب خلاص اتعلق بأمينة ومش حيرجع بالطريقة دي . . انت عارفة هو رفض يعطي شادية يوم إجازة ليه . . لأنه مواعد الهانم بكرة يغديها في الإسكندرية أكلة سمك في مكان كان يجمعهم زمان أيام الحب . . بيستعيد حضرته ذكرياته معاها . .

ـ وطبعًا شادية هي اللي قالتلك المعلومات دي كلها .

ـ أيوه ربنا يخليها ويكرمها براجل يستحقها ، وأظن ده حيحصل قريب .

ربتت دولت على كتف مديحة وقالت :

ـ شوفي يا مديحة . . شادية دي أنا مش مرتاحلها . . إنسانة خاينة . . ربنا يكفيك شرها . خانت ولي نعمتها وأفشت أسرار مكتبه .

قررت دولت مرافقة مديحة إلى دمنهور ولم لا، إنها تجربة تعيشها في عالم السحر والدجل الذي كثيراً ما قرأت وسمعت عنه . . خمسة كيلومترات فقط ونكون أمام الشيخ طلعت شحمًا ولحمًا . أبطأت دولت من سرعة السيارة بجانب أحد المارة حتى تستفسر منه عن الطريق إلى الشيخ طلعت، ولكن قبل أن تنطق بكلمة واحدة أجابها الرجل :

ـ انتم عايزين الشيخ طلعت . . صح؟

ابتسمت مديحة وقالت في زهو :

ـ ألم أقل لك إن صيته ذائع وبركاته بتهل علينا . . إيه رأيك يا دولت يفتح لك المندل . . ويشوف لك الطالع .

قالت دولت بحزم :

ـ لا يعلم الغيب إلا الله ـ فإن كان حلواً فليكن مفاجأة حلوة عند حدوثه، وإن كان مراً فلماذا أستعجله وأعاني مرارة القلق والانتظار ـ آل طالع آل ـ بلا طالع بلا نازل .

في صحن دار الشيخ طلعت جلسنا ننتظر دورنا . المكان غاية في الغرابة، وتملكني شعور بالانقباض والخوف والاشئمزاز، جاء صوته أجش وهو يأذن لنا بالدخول إليه والاقتراب منه . . رجل قصير القامة، عريض الكتفين، بالوصف العامي (ربع)، له نظرة شهوانية قذرة . . وقحة . .

اقترب مني يحاول وضع يده على رأسي قائلاً بثقة زائدة :

ـ لا تقلقي فعلاجك عندي ومشكلتك محلولة بعون الله ـ كل شيء واضح ومكتوب على جبينك وجوه عيونك .

نطرت دولت يده بشدة وقالت باستهزاء :

ـ أشكرك ولكني والحمد لله ليس عندي أي مشاكل تحتاج لمعونتك .

لم يعجبه الكلام فقال بلهجة آمرة :

ـ سأفتح لك الكتاب ـ فأنت في حاجة ماسة إلى مساعدتي . ما اسمك واسم أمك قوليهم للأسياد .

وهنا قالت مديحة بدلال الأنثى :

ـ المشكلة عندي أنا يا مولانا . . المصيبة مصيبتي أنا . . أنا من تركها زوجها وذهب لغيرها . . أما أسيادك على عيني وراسي . . أنا اسمي مديحة بنت نادية .

وضع طلعت يده على فمها يسكتها :

ـ لا تكملي كل شيء واضح ومقروء بعون الله سيعود لك راكعًا، زاحفًا .

ومد يده لينزع حجابها قائلاً :

ـ أريد أن أقرأ عليك بعض الآيات القرآنية حتى تطمئني وتهدئي .

ظل طلعت يقرأ على رأس مديحة الكثير من الجمل غير المفهومة، ثم

وضع مزيداً من البخور فوق النار مما جعل الرؤية غير واضحة، وتحول صوته إلى صوت أجش وتحدث كأنه يخاطب نفراً من الجن لا نراه، ومازال على هذا النحو يعلو ويهبط يصرخ ويعزم حتى انهارت مديحة وخارت قواها وسقطت مغشيًا عليها فتلقفها طلعت في أحضانه وهو مازال يتمتم بما هو غير مفهوم، ويتحسس مفاتن جسدها.. لم تتمالك دولت نفسها وصرخت فيه صائحة:

ـ ماذا فعلت بها.. سوف أبلغ عنك الشرطة..

لم يعرها طلعت اهتمامًا ولكنه هوى بيديه القويتين على وجه مديحة التي كانت في شبه غيبوبة وظل يكبر ويهلل في أذنها حتى شهقت شهقة عميقة وهي تصرخ وتبكي وهو يقول:

ـ اطمئني لقد أخرجنا من جسدك الجميل هذا العفريت.. الذي أسكنته فيه تلك السيدة اللعينة التي سرقت زوجك منك فهي تتعامل بالسحر السفلي لتجعله يراك كقردة فيكرهك ويذهب إليها.

قالت مديحة وهي تجفف دموعها:

ـ حقًا لقد نجحت في ذلك فتركني وراح يلهث وراءها.

قال طلعت بثقة:

ـ لا تقلقي سيعود إليك نادمًا، ولكن هذا سيكلفك بعض المال والوقت.

قالت مديحة بحماس:

ـ سأنفذ كل أوامرك وطلباتك.

رد طلعت مسرعًا:

ـ أستغفر الله أنا لا أطلب ولا أأمر.. إنهم الأسياد.. أسيادي وأسيادك.

ثم استرسل طلعت في طلبات عجيبة غريبة:

ـ سحلية وبخور وهدهد حي وجاوى وأثر منه وأثر منك.. و..و..

خرجت منهكة متوترة تجاه سيارتي وإذا بشاب يلحق بنا يستوقفنا ويقول:

ـ الشيخ طلعت يبقى عمي وأنا أعمل معه وأستطيع أن أحضر لك جميع طلباته لو تركت لي مبلغًا من المال.

ابتعدنا قليلاً بالسيارة على الطريق الزراعي.

قالت مديحة:

ـ هيه ما رأيك يا دولت.. ألم أقل لك إن أمينة كما قالت لي شادية تعمل لي أعمالاً وسحرًا وأسكنت الجن في جسدي.

قاطعتها بانفعال:

ـ اسمعي يا مديحة إن الشيخ طلعت وابن أخيه وشادية أيضًا مجموعة من المحتالين، ثم إن هذا الطلعت وعفاريته قليلو الأدب عديمو الأخلاق.

مرت فترة طويلة بعد ذلك لم أر فيها صديقتي مديحة لانشغالي ببعض الأمور الخاصة بي والتي اضطرتني أن أجهز أوراقي للسفر لزيارة ابني في الخارج، وقبل موعد السفر ذهبت لأودع مديحة وأطمئن عليها قبل سفري ولكني وجدت إنسانة أخرى لا أعرفها، وجدت شبحًا يتحرك أمامي عندما تكلمت كانت تعاني من صعوبة نطق الكلمات وتجميع العبارات، ارتمت في صدري وأجهشت بالبكاء قالت:

ـ لماذا بعدت عني؟ لماذا تخليت عني؟ لماذا تركتيني فريسة له؟

قالت مديحة لدولت تلك الكلمات وهي ترتدي عباءتها قائلة:

ـ سأذهب إليه سأقتله لم أعد قادرة على التصدي له والصبر عليه.

قاطعتها دولت:

ـ من هو؟ هل تقصدي زوجك؟

قالت منفعلة:

ـ لا.. أقصده هو.. طلعت.. لقد تملك مني هو وخادمه ذلك الجن (ميمون النكاح) الذي يبعثه لي ليلاً ليستفذ أنوثتي ويعبث بجسدي ويحرك شهوتي ويفسد صلواتي و.. و.. يغتصبني.

كان ذلك آخر ما أتصوره من سيدة متعلمة مثقفة متدينة، ماذا حدث لها؟ وماذا فعل بها هذا الدجال؟ لمت نفسي كثيراً. كيف تركت جارتي فريسة لهذا النصاب؟ فلأحاول أن أكون إيجابية وأذهب لزوجها لإصلاح ما أفسدته الأيام بينهما، ولم لا وهو جاري وزوج جارتي.

استقبلتني سكرتيرته شادية وشعرت من أول وهلة أنها إنسانة غير جديرة بالثقة أو الاحترام، وهذا أيضًا كان تقديري لها قبل أن أراها منذ علمت من مديحة أنها تنقل لها أسرار زوجها.

قال لي إيهاب بشكل قاطع:

ـ آسف يا دولت هانم فأنا لا أستطيع الحياة مع امرأة تقضي نصف وقتها في الشك والأوهام والنصف الآخر في اللف والدوران على السحرة والدجالين والمشعوذين.

صمت قليلاً ثم استأنف قائلاً:

ـ تخيلي يا مدام دولت لقد حاولت التأثير على سكرتيرتي لجرجرتها معها على الدجالين والمحتالين، ولولا ما تتمتع به الآنسة شادية من رصانة عقل ورجاحة فكر لكانت تبعتها في تصرفاتها المجنونة.

أغلق إيهاب أمامي كل أبواب الأمل في العودة إلى مديحة، ولكن ما حيرني، ورغم تأكيد مديحة، أن هناك علاقة بين إيهاب وأمينة، ولكني خرجت من المكتب وأنا أكاد أجزم أن العلاقة بين إيهاب وشادية وليست أمينة. مديحة تحولت إلى إنسانة عبوسة متقوقعة كدودة قز داخل شرنقتها وكانت الشرنقة التي تلف وتدور بداخلها هي طلعت وعفاريته وجنيه (ميمون النكاح).

عندما ذهبت دولت لوداع د. شروق شقيقة زوجة ابنها قبل سفرها. جاء في دردشة عابرة ذكر حالة مديحة وما انتابها من علل طوال الفترة

الماضية فقالت لها د. شروق:

ـ ولماذا لم تذهبي بها إلى طبيب متخصص في الطب النفسي.

بشيء من الاستغراب والدهشة قالت دولت:

ـ وما دخل الطب النفسي في مشاكل جارتي مع زوجها ومع طلعت وحنكش وعفاريتهم وآخرهم (ميمون النكاح).

قالت د. شروق:

ـ بل له كل الدخل في مثل هذه الحالات، فالطب النفسي طب متخصص كأي تخصص.. كأمراض الباطنة والعظام والقلب. فالنفس أيضًا تمرض. فصديقتك تعاني من أزمة نفسية نتيجة هجر زوجها وإحساسها بعدم رغبته فيها وفي معاشرتها فتصاب بحالة من الكبت الجنسي ولا تجد لها متنفسًا سوى هذه التهيؤات مع ميمون النكاح وأمثاله فتتخيل وتتوهم أن هناك قوة خفية خارقة لا تستطيع أن تقاومه. إننا نتخيل أن أحاسيسنا ورغباتنا الطبيعية في الممارسة الجنسية تتنافي مع سلوكياتنا وتديننا. فكانت السيدات في الماضي يلجأن إلى حفلات الزار وهي متنفس طبيعي لا يخجلهن، فنجد المطلقات والعوانس والأرامل لا متنفس لهن إلا اللجوء لهذه الحيل حتى لا يتهمن بالانحلال أو سوء الخلق مقتنعين أن ما يحدث لهن وما يمارسنه يحركه قوى أقوى منهن بكثير.. وأن ما يحدث لهن غير مسئولات عنه.

ـ أضيفي إليهن من يصاب زوجها بالعجز الجنسي، فهو يرفض الاعتراف بذلك والعلاج. فتذهب الزوجة إلى الدجالين والمشعوذين لإخراج مخزونهن.

قالت دولت مقاطعة:

ـ ومن أين لك بتلك المعلومات؟ على حد علمي أنك طبيبة.

قالت ضاحكة:

ـ أنا طبيبة أمراض نفسية.. فليتك تأتين لي بصديقتك وهذا عنوان عيادتي ورقم تليفوني.

حاولت دولت أن تقنع مديحة بالذهاب معها إلى الدكتورة شروق ولكنها رفضت متصورة أنها بعد زيارتها لزوجها في مكتبه قد تآمرت معه عليها حتى تذهب بها إلى مستشفى المجانين.

سافرت دولت ستة أشهر بعيدًا عن الوطن، كان الوقت في الغربة يمر وكأنه دهر، فالبعد عن تراب الوطن مؤلم وخاصة إن كان هذا الوطن هو مصر. كان أهم ما يشغل ذهن دولت في غربتها هي جارتها مديحة، أحيانًا كانت ترثى لحالها وأحيانًا تلوم عليها فهي التي ذهبت بنفسها إلى هذا الطريق واستسلمت له.

كان أول ما فعلته دولت عند عودتها هي أن ذهبت إلى باب شقة جارتها مديحة، وقبل أن تطرق الباب سمعت صوت الأستاذ إيهاب زوجها فحمدت الله إنهما قد تصالحا، وعاد إليها وانتهت خرافة حبه القديم

وظهور ابنة عمه أمينة في حياته. حمداً لله يا مديحة لقد عادت السعادة لترفرف على بابك، ولكن الباب فتح لتجد المفاجأة الكبرى الأستاذ إيهاب وبجانبه شادية السكرتيرة، فتراجعت خطوات في ذهول حين سمعته يقول:

ـ تفضلي يا مدام دولت حمداً لله على سلامتك، هذه شادية زوجتي، أظنك قد تعرفت عليها من قبل في مكتبي. لقد تزوجنا منذ شهر واحد. يعني إحنا دلوقت في شهر العسل.

أفاقت دولت من ذهولها ونظرت إليه قائلة:

ـ نعم.. نعم تقابلنا، ولكن.. أقصد.. مبروك.

وعندما لاحظ إيهاب حيرتها قال:

ـ لقد طلقت مديحة بعد أن فقدنا الأمل في علاجها من هواجسها وعودتها إلى حالتها الطبيعية بعد رحلة عذاب من دجال لدجال.

قالت دولت وهي في حالة ذهول:

ـ وكيف حال ابنة عمك الأرملة السيدة أمينة؟

قال وقد وصلته الرسالة وفهم مغزى السؤال:

ـ آه لقد أقنعتك أنت الأخرى أن هناك علاقة بيني وبين ابنة عمي. لقد أحالت حياتي بهذا الوهم إلى جحيم، لولا شادية ومواساتها لي، لا أدري ماذا كنت فاعلاً في أزمتي هذه، لقد كانت شادية الصدر الحنون والقلب الذي احتواني وأخذ بيدي في أزمتي، أما أمينة فمنذ أن عادت

بعد وفاة زوجها لم تكن أكثر من ابنة عم وأخت ولكن للأسف مديحة لم تقتنع بذلك.

قالت دولت مستفسرة:

ـ وأين هي.. مديحة الآن.

قال وهو منصرف إلى الداخل دافعاً زوجته أمامه:

ـ لا أعلم ربما تكون عند شقيقتها.

في أحضان دولت أجهشت مديحة بالبكاء، لقد طلقني وتزوجها التي أوهمتني أنه على علاقة بأمينة وأخذت بيدي إلى طريق السحرة والساحرين وباعدت المسافة بيني وبينه، كنت أبوح لها بكل أسرار خلافاتي معه وأدق أموري، كنت أعتبرها شقيقة لي، لكني لن أتركها تنعم به سأشعلها ناراً على رؤوسهم، لقد اشترط على الشيخ طلعت إن وافقته على زواجي منه أن يدمر حياتهما معاً، سأفعل وعليّ وعلى أعدائي.

صرخت دولت قائلة:

ـ لقد جننت لا محالة، وليس لك مكان سوى مستشفى المجانين فهذا تفكير جنوني. كيف تقبلي الزواج من هذا النصاب؟ إن مجرد التفكير بهذه الطريقة يجعلني أصر على الإبلاغ عن هذا الدجال النصاب.

في صباح اليوم التالي كانت المفاجأة على صفحات الجرائد.. لقد تم القبض على الدجال (طلعت) ووجهت إليه الكثير من التهم: النصب، الدجل، الاغتصاب...

كانت فرحة دولت لا توصف وهي تلقي الصحيفة إلى مديحة التي كانت قد سبقتها وفي يدها نفس الصحيفة، وقالت لها وهي منهكة القوى :

ـ دولت أرجوك أريد أن أسترد نفسي التي ضاعت مني، أريدك أن تأخذيني إلى الدكتورة شروق طبيبة الأمراض النفسية .